

الطبعة الأولى

١٤١٩-١٩٩٩م

آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر



الحمد لله " خلق الإنسان علمه البيان" [1] ، وجعل بيانه معبِّرا عن ما في أعماقه المعتصم بضميره الحيى ، ووجد انه اليقظ ، وبيَّن رسول الله ﷺ قيمة هذا البيان متى كان على الناحية المثلى ، فقال ﷺ إنه من البيان لسحر [2] .

وتعددت صور هذا البيان بحيث صارت شعرا ونثرا ، حِكَماً وعلما ، تراثا وفكرا ، وما كان من هذا القبيل الذى يتميز به بنو الإنسان عن غيرهم من المخلوقات الأخرى .

اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد ﷺ الذى وهبه الله جوامع الكلم[3] ، وفصل الخطاب ، حتى بيَّن له ربه أن المغالبة فى الخطاب ممن هو أَلْسَنُ بحجته تمثل نوعا غير مقبول مما يجرى فى بعض الأعراف .

لكنه لا يصيب من الناحية الواقعية هدفا مقبولا ، ولا يصل الى حقيقة قائمة ، فما اللسانة بدليل على صدق القول ، ولا الرطانة علامة على الكذب ، لأن الكلام مجرد وسيلة للتعبير عن بعض ما فى الفؤاد ، وكل يستخدم المفردات المعبرة عن المعانى الكامنة فى صدره على النحو الذى يخلص به لغرضه .

---

(١) سورة الرحمن - الآيتان ٣/٤ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الطب باب " أن من البيان سحرا " جـ١٠ ص٢٣٧، حديث ٥٧٦٧ ، ومتن الحديث هو : " ان من البيان لسحرا " وفى رواية " ان من البيان سحرا" وان من الشعر حكما " سنن أبى داؤد ، باب ما جاء فى الشعر حديث ٥٠١١ جـ٥٢ - ص٣٠٣ دار الكتب العلمية بيروت .

(٣) من ذلك قوله ﷺ : " فضلت على الأنبياء ليست منها أعطيت جوامع الكلم " .

فيقول ﷺ : " يختصم الى الخصمان منكم فيكـون أحدهمـا ألْسَنُ بحجتـه مـن أخيه ، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقضى له بقطعة من النار"(١) .

من ثم كان البيان على ناحية الصواب هو المقبول شرعا طالـما كـان فـى حـدود الالتزام بما أمر الله تعالى به أو نهى عنه ، وفى حدود الالـتزام بمـا أمـر بـه تعـالى أو نهى عنه ، وفى حدود الطاعة أتيانا ، وعن المعاصى أغترابا ونكرانا .

وأرض اللهم عـن أصحابـه الغـر الميـامين ، وأتباعـه أهـل الفضـل أجمعـين ، والعلماء العاملين بدينهم الذين عرفـوا الخطـاب لغـة ومفـهوما ، قـراءات ، ومنطوقـا وإفهاما فَعَلَت لغتهم وصحت معها نواياهم ، وسمت أفهامــهم ، وحلقـت فـى سمـاء الفكر وجداناتهم ، حتى شاهدوا الملكوت الأعلى فى نفوسهم ، ومس شفاق قلوبهم ، فكانوا بحق للسائرين هداة ، وللقافلة التى تنشد الأمان حداه .

أما قبل

فان المشاعل الحضارية فى دنيا الناس لم تنبت من فراغ ، ولم تقف على غـير قوائم ، بل كان وحى السماء هو الهادى ، والفكر هو الأرض التى تنبـت فـى تربتـها المعانى ، بعد أن غرست فى أعماقها الألفاظ ، فأثمرت معـارف ومعلومـات ، نظريـة وضرورية تجريبية وخيالية ، وكان الفكر(٢) ، هو العُمَدُ الثابته التى أقيمت عليها تلك الحضارات الوارقة .

(١) الحديث مشهور وله روايات متعددة ، وهذا فيما يتعلق بالأحكام التى يقع فيها التنازع بين الناس .

(٢) يعرف الفكر بتعريفات كثيرة منها : أنه ترتيب أمور معلومة للتأدى الى مجهول حاشية البـــاجورى علـــى شرح السلم ص٢١ .

◈ بيد أن هذا الفكر فى مراحله المختلفة كان له موجهان :-

✪ **الأول : الموجه الدينى**

حيث يكون الفكر فهما للنقل المنزل ، النص الدينى[1] ، وحينئذ يعود الفكر آمنا من رحلته التى قطعها طالما كان مهتديا بالنقل المنزل المعصوم ، حيث لا يضل معه ، ولا يشقى فيه ، وبالتالى فانه يئوب ، حاملا معه ألذ الثمرات وأطيبها ، وهذا أمر مسلم لدى كافة العقلاء والمتدينين .

وقد يحمل معه بذورا منتقاة من مبادئ علميه أو غير هائم تغرس فى حقل المعارف الإنسانية فيشب فوقها من الأشجار الباسقات ، وتخرج من أكمامها الثمرات الذاكيات ، وما دامت أشجاره منتقاة ، قائمة على هدى الله ، فستأتى الثمار من نفس الأصول ، وعلى نفس الأصل يجئ الثمر .

وهذا الموجه الدينى هو الشرع الآتى من الله تعالى على ألسنة رسله الكرام حتى يحققوا للبشرية منافع ، وينقذوهم من مضار يصعب الهروب منها ، أو عدم الوقوع فيها [2] .

✪ **الثاني : الفكر الإنساني[3] .**

وهو المنتج العقلى للإنسان وحده[4] ، من غير اهتداء بشرع يقوده ، أو نبى يوجه غاياته والأهداف ، بل هو من صنع الإنسان نفسه ، بتوفيق الله تعالى اليه ، أو

---

(١) راجع كتابنا " أنسام حية فى الأفكار الصوفية " ص١٧ وما بعدها ط الشرقية للطباعة أولى ١٩٩٧م .

(٢) العلامة السعد التفتازانى - شرح المقاصد جـ٢ ص١٣١ .

(٣) وهو الموجه الثانى بعد النقل المنزل ، سواء فى حدود النص المنزل ، وهو الفكر الدينى أو بعيدا عن النص المنزل وهو الفكر الإنسانى المستقل الذى لا أمان معه ، ولا سلام له .

(٤) د/ محمد حسينى محمد موسى الغزالى انسام حية فى الأفكار الصوفية الفصل الثانى شبهات خصوم الفكر الإسلامى ص٣٥/٩٠ .

أضلاله فيه[1] ، وحينئذ قد يصطنع الإنسان لنفسه فكرا يقدسه باعتباره مظهراً لدينه الشخصى ، واعتقاده الذاتى ، حتى وان لم يقم على قواعد صحيحة فى الواقع[2] الفعلى ، أو الاقتناع العقلى .

بل ربما غالى فى هذا الطريق غلوا كبيرا حتى تنقلب الخطوات معه ، فتزل به القدم بعد الثبوت ، وتسقط منه القيم بعد الارتفاع ، ومن يدرى فربما عبد الأفعى[3] ، أو قدس العجل [4] ، أو ألغى من دائرة تفكيره الغيبيات كلها [5] ، جاحدا بها مهملا لها ، غير هياب مما يترتب على هذا الأنكار من نتائج ،وحينئذ لا ينقذه من وهدته منقذ ، ولا يرفعه من سقطته منج ، بل ان ديدنه سيكون المزيد من السقوط أو الاستمرار فى الهبوط حتى القاع ، وفى الآخرة يكون فى ﴿"الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا"﴾ [6] ،

بيد أن الفكر الإنساني كلما كان اهتداؤه بالشرع منتظما على تلك الناحية كان مأمولا ونتائجه مقبوله ، وكلما جاءت نتائجه على نفس المقدمات عبر بسهولة من أصعب الأزمات إلى شاطئ الأمان ، الذى ترسو عنده السفن الحائرة ، انه شرع الله تعالى .

---

(١) بناء على أن الهداية أو الاضلال من أفعال الله تعالى ، وهو رأى الأشاعرة فى المسألة راجع الأقتصاد فى الاعتقاد للأمام الغزالى القطب الثالث الأفعال الألهية .

(٢) كما عبد البعض البقر وعبد غيرهم الشمس والقمر أو غيرها من المنافع والمخاوف ، وكلها أمور مخالفة للواقع ، وهى عبادة باطلة فالله تعالى هو المعبود وحده جل شأنه

(٣) عبادة الأفعى باطلة ، وهى من صنع الهوس العقلى ، وعرفت عند أصحابها ، ولهم فى ذلك انات كلها زائفة

(٤) نوع من عبادة اليهودية الحمقاء التى تبناها الفكر الإنسانى لدى اليهود ، بعد ان صنعوه بأنفسهم وقد بين القرآن الكريم أنها عبادة باطلة .

(٥) كما يعلن أصحاب الوضعية والاتجاه السائد فى دعاة الوضعية راجع لدفيج فتجنشتين ص١١٩ .

(٦) سورة النساء الآية

وكلما ابتعد عن هذا الاهتداء الإلهي التقطته لوافح الهجير المنطلقة لامتصاص حرارتها في الجسم المقترب منها ، دون مراعاة لظرفه ، أو جبر لكسره ، وحينئذ لا يضمن صاحبه السلامة ، ولا يعرف قاربه النجاة .

ومن العجيب أن بعض الأفكار الإنسانية تقود أصحابها من أزمّتِهم قياد البعير للجاذر المتلهف ، أو سوق المجرم للمشنقة ، تحقيقا للعدل ، فلا يحاول الالتفات اليها بحيث يرى ما اذا كانت أفكاره لها ضوابط ، أو تقوم على ثوابت من عدمه .

أنه لا يحاول – مجرد محاولة – وضعها فى دائرة اختبار حقيقى مرة واحدة ، فهى فى نظره القاصر أعلى من غيرها ، ولو عرضت عليه من غيره لانكرها وما تمسك بها ، بل ولحاول أن يخلصها من الأوهام الأربعة السائدة ، كما حاول فرنسيس بيكون[1] ، من قبل ، أو بمنطق الشك للبناء ، أو الشك النقدى كما صنع رينيه ديكارت[2] – فيلسوف فرنسا كما يقولن – حتى يقيم فكرة على قواعد قابلة للتطبيق .

ومن المعلوم أن الأمام الغزالى – المسلم الشهير حجة الاسلام – قد سبق الغرب فى اصطناع ذلك المنهج النقدى البناء وذلك بين فى منقذه[3] ، وتابعه ديكارت فى مقاله[4] متأثرا به ، ثم انتصر لهذا الاتجاه الكثيرون ممن أتوا بعدهم أو تابعوا خطواتهم .

---

(١) راجع كتابنا " خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة " ص٨٠/٩٠ ط أولى مطبعة صنعساء سنة ١٩٩٦م ، وكذلك مناقشاتنا لفلسفته من ص٩٩/١٠٣ .

(٢) المصدر السابق ص١٥١ الشك الديكارتى .

(٣) ألف الأمام الغزالى كتابه النقد من الضلال ، وتعرض فيه لوضع قواعد عقلية يقيم بها فكره ، ويزيد بها معلوماته ، وقد حقق الكتاب أ.د: عبدالحليم محمود شيخ الأزهر ، وما يزال الكتاب تتعدد طبعاته .

(٤) مقال فى المنهج والتأملات فى الفلسفة الأولى كل منهما كتاب مستقل لديكارت ، تعرض فى أحدهما لأبراز منهجه ، وفى الثانى لتطبيق ذلك المنهج ، وقد ترجما الى العربية وطبعا أكثر من مرة .

لذا فما ان رأيت من نفسى رغبة فى الحديث عن الخطاب بين الأصوليين ودعاة الحداثة رغم ضيق الوقت ، وظروف الصحة التى أمل لها السلامة ، وكثرة الشواغل – الا ويسر الله تعالى أمرى ، فتهضت اليه أخاطب ما بين يدى من أفكار حملتها أرحام الكتب .

والحمد لله أنها لم تبخل بوليدها ، بل تدافعت نحوى ، أملة معاونتى فى إحراز بعض النجاحات ، فى حين تمنيت بعض التوفيق من الله تعالى رب العالمين ،وما ذلك على الله بعزيز .

لذا سأجعل هذا الكتاب منحصرا فى المباحث التالية :–

- أولا : مفهوم الخطاب
- ثانيا : لغة الخطاب
- ثالثا : منطوق الخطاب .
- رابعا : دلالة الخطاب
- خامسا : أنواع الخطاب
- سادسا : مقاييس الصدق فى الخطاب .
- سابعا : قراءات الخطاب
- ثامنا : علاقة الخطاب بالأيديولوجيات المعاصرة ، وأصحاب فكرة الحداثة .

وأخيرا خاتمة دعوت الله أن يوفق العقلاء من أهل ديننا الحنيف ، وديارنا الإسلامية الآمنة إلى الحق والصواب ، وما فيه الخير لديننا وأمتنا الإسلامية التى

يتربص بها الأعداء من كل ناحية ، حتى يكونوا دائما أصدقاء لا فرقاء ، يجمعهم حب الله ويقودهم اليه شرع شريف ، وهدى نبوى كريم ، من غير تعطيل أو تضليل .

ونحن ندعو قائلين ﴿" ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا أصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين[١] "﴾ .

وكم رجوت الزملاء استمرار الدرس مع الكثير من البحث والمراجعة ، وكم تمنيت أن تسود فيهم روح فينانة ، ترضى منهم بتحمل الصبر فى طلب العلم ، والاناة فى اصدار الأحكام ، وعدم التعجل فى مناقشة المسائل المتناولة سواء سبق القول بها ، أو جاءت مستجدة ، ومن غير إهمال لرأى العلماء أهل الفضل لا النقلة .

لما هو معلوم من أن أحكام العجلى منقوضه ، ودأب المقلدين الاحتكام الى الموروث ، ولو كان فاسدا ، فهم مجرد مرددة ، كان عقولهم فى آذانهم وإفهامهم على ألسنتهم[٢] ، ولعل رجاءاتى تلمس فى البعض وترا يشعر بها ، أو تهمس من ساكن الجب العميق آذنا تسمع وعقلا يفقه ، فما أطلب المستحيل ، وما ذلك على الله بعزيز .

بيد أن البحث العلمى لم يعرف الكلمة الأخيرة ، والا لا نقضى من نفوس الدارسين أمل البحث ، وضاع من قلوبهم أثير الدرس ، وتفلتت من بين أيديهم

---

(١) سورة البقرة الاية الأخيرة .

(٢) تلك طبيعة الببغاوات ، وليست سمة العقلاء من العلماء .

غزالات غلت بينهم ، أو حسبت عليهم ، ثم هربت منهم ، أو تمنعت عليهم ، وكل باحث يوفقه الله حسب إمكانياته والرغبة الصادقة ، وذلك من أنعم الله رب العالمين.

فان تبلغ صيحتى آذانا من أهلي تسمع ، وقلوبا لبني جلدتي تفتح ، فبها ونعمت ، وان صمت دونها الآذان ، وأغلقت أمامها القلوب ، وتأبت على قبولها العقول ، فما أظنها ضاعت هباء ، أو ذهبت سدي ، لقوله تعالى﴿ " فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال"﴾ [1] .

دكتور

محمد حسينى موسى محمد الغزالى .

مطالع شهر الله المحرم ١٤٢٠هـ

(١) سورة الرعد الاية ١٧ .

المبحث الأول

مفهوم الخطاب

المعروف أن اللغة هى الحامل للمعنى ، وبدون اللغة يصعب التعرف على المعنى ، ولذا عنى العلماء ببيان دور اللغة فى المعانى ، من ثم فلابد من تعريف الخطاب فى اللغة أولا ، ثم المفهوم ثانيا : فما هو فى اللغة ؟

○ **أولا الخطاب فى اللغة :**

وردت مادة خ ط ب فى لغة العرب على معان شتى ، مما يؤكد أن لفظ الخطاب أصيل فى اللغة العربية ، بحروفه ودلالته ، ثرى فى نصه وقراءاته ، عميق فى جمله ومفرداته .

وكذلك جاءت مادة الكلمة فى القرآن الكريم حوالى اثنتى عشرة مرة ، وقد تكفل المعجم المفهرس لألفاظ الكريم بعدها ، وبيان مواضعها فى السور والآيات القرآنية[1] ، فما هى المعانى التى حبل بها لفظ الخطاب اذن ؟ وصار يقال عليها بعد ذلك ؟

ساقت مصادر العربية للخطاب معان كثيرة منها :

[١] الكلام والمحادثة وإبلاغ رسالة :

من ذلك قولهم : فلان وجه لفلان كلاما ، بمعنى تكلم معه فيه وحادثه مشافهة أو كتابة ، وابلغه ما يريد إبلاغه ، ويقال : خاطبه فى الأمر أى

(١) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٢٣٥ وضع الاستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى مكتبة الغزالى مؤسسة مناهل العرفان بيروت .

حدثه بشأنه، فهو كلام ومحادثة وابلاغ رسالة[1] أيضا ، فى نفس الوقت متى تعددت جهاته .

[٢] الصدارة للشيء :

ومنهم قوله : خطبة الكتاب ، أى صدره ، ومعناه التى لها مكان الصدارة فيه من حيث أنها تنبئ عنه ، وتعرف به وربما سميت مقدمة ، لأنها تمثل تلخيصا لمباحث ما بعدها ، فتكون لها الصدارة ، كما أن الخاتمة تكون تلخيصا لنتائج ما سبقها ، فيكون لها التأخير لانها نتائج .

لذا نالت العناية والاهتمام من المؤلفين والشراح والمعلقين والقراء كل فى حدود ما يخصه من تلك الصدارة[2] ، وخصها البعض بما فيه مطالع الشيء ومباديه ، وهو النظر ، وعرفوه بأنه : ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدى الى استعلام ما ليس بمعلوم[3] .

من ذلك قوله تعالى عن سيدنا داؤد ﷺ ﴿ " وشددنا ملكه وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب" ﴾[4] ، والمراد هنا سلامة النطق اللسانى بحيث لا تكون فى الحروف المنطوقة لكنه أوعجمى تمنع من فهم المنطوق ، أو استبيان حروفه ومعانيه .

---

(١) القاموس المحيط جـ١ بابا الباء فصل الخاء وما يثالثهما ص٦٢ ط دار المعرفة بيروت .

(٢) المعجم الوجيز مادة خ ط ب ص٢٠٢ ط وزارة التربية والتعليم ١٩٩٢م مجمع اللغة العربية بالقاهرة

(٣) العلامة المرعشى الشهير بساجقلى زاده نشر الطوالع ص٧ مكتبة العلوم العصرية ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م .

(٤) سورة ص الاية ٢٠ .

فكانت سلامة الخطاب فصلا فى القول ، وابانة عن المعنى ، مع الاقناع القوى ، وتلك من ميزات النبى ﷺ ، لأنه يبـين أحكـام الله تعـالى لعبـاده ، فكيـف يعرفهم بها اذا كان غير قادر على نقلها اليهم .

كما أن فيه أبانة عن المراد مما يختفى فى داخل النفس الإنسانية ، وفوق ذلك فهو مقنع للآخرين ، لاستخدامه اللغة المباشرة ، والحجة الواضحة ، والابتعاد عن مناطق الزلل ، والاحتماء بالبرهان على اختلاف أنواعه .

قال العلامة البروسوى " فصل الخطاب يعنى الافصاح بحقيقـة الأمـر ، وقطـع القضايا والأحكام باليقين من غير ارتياب ولا شك ولا توقف فيكون بمعنى فصل الخصام يتميزه الحق من الباطل[1] .

ومن هذا الباب يأتى كل من : الحكم بالبينة ، واليمين ، والفقه فى القضـاء[2] ، وكلها فيها نطق لسانى ، وكلام فيه ابانة ، وأقناع لا يـراد بـه الا الحـق ، ولا يقصد من خلفه الا بلوغ الغاية المشروعة ، لأن الناطق بها فى الآية الكريمة هو النبى ﷺ .

---

(١) العلامة اسماعيل حقى البروسوى تنوير الأذهان من تفسير روح البيان المجلد الثـالث ص٣٦٣ اختصـار الشيخ محمد على الصابونى ط دار الصابونى .

(٢) القاموس المحيط جـ١ ص٦٣ .

ويدخل فى هذا النوع كل من الكلام المنثور والمسجوع ، والكلام المشعور ، الذى يراد به التعبير عن الملكة الشعرية ، واعلان التمكن منها مع القدرة على الابانة المطلوبة ، بطرق شتى وأحوال مختلفة[1] دون وقوع فى عجز أو عوج .

ومنه قولهم الخطبة العصماء من الكلام المنثور[2] ، يخاطب بـه متكلـم فصيـح ، جمعا من الناس لاقناعهم بأمر انتواه ، أو فكرة عرضـت لـه ، أو نتيجـة بلـغ فيها مبلغ الحجة والبرهان[3] بحيث حصل لهم الاقناع ، وقوى فيهم اليقين .

[٣] <u>الطلب</u>

ذلك أن اللغة الخطابية سواء حملـت خـبرا ، أو بشـارة ، أو كـانت وعظـا أو تعليما ، أو حكاية ، أو التزمت أمرا ، أو نهيا ، أو ما شابه ذلك ، فانها فى حقيقة الأمر تمثل الطلب فى معناه الأصلى ، اذ الخطاب فى بداية أمره صورة من توجيه السامع لما يراد من الخطاب الملقى اليه ، وهو أمر من هذه الناحية ، وبالتالى فهو طلب[4] ، وعلى هذا فكل خطاب طلب ، وليس العكس .

كما أن العرب استخدموا الخطاب فى الطلب من حيث المعنى كثيرا ، مـن ذلك قولهم : خطب فلان فلانه ، بمعنى طلبها للزواج[5] ، سواء كان طلبه لها من أهلها ، أو كان طلبه لها من نفسها قاصدا الزواج بها .

---

(١) هناك فرق بين الآلة والملكة ، فالآلة جزء من الجسم كالأذن فالها آلة السمع والعين فإلها آلة البصـــر ، أمـــا الملكة فهى القوة التى بها يتم السمع وكذلك الحال فى كل الآلات والملكات .

(٢) القاموس المحيط باب الباء فصل الخاء

(٣) لسان العرب باب الخاء ، واساس البلاغة باب الخاء فصل الطاء وما بثالثهما .

(٤) راجع منور الأذهان فى علم البيان ص١٧ .

(٥) العلامة الزمخشرى اساس البلاغة مادة خ ط ب ص٢١٥ ، وكذلك قطر المحيط .

وهو فى كل هذه الحالات طالب أمرا ما ، وهى مطلوبة على نحو من الأنحاء ، اذن كل من الأمرين طلب ، وان اختلفت نواحيه عند الملقى للخطاب ، أو المستمع له .

[٤] الخطاب المفتوح مع البيان الشافى[١] .

واستعمل غالبا فى النصح الذى يوجه لولاة الأمر من محل ثقتهم وأهل المعرفة أو من ولاة الأمر للرعايا الذين هم فى حدود رعايتهم ، اذ هو خطاب اليهم ، ولكن لا على سبيل التعين ، وانما على سبيل الأجمال كما انه يراد به البعض الذين احتاجوا توجيه النصح ومزيد البيان ، وليس الكل لخروج البعض عن مثل هذه النصائح ، أما لتكملهم العقلى أو تجملهم الأخلاقى ، أو تكامل العقلى والأخلاقى فى حدود الاتجاه الدينى السليم[٢] ، وهم قلة وفى حدود ضيقة .

وكان ﷺ يقرأ قوله تعالى ﴿" وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما"﴾[٣] ، ثم يقف على أندية المشركين يحييهم ويدعوهم الى الله تعالى ويدانيهم ولا يداهنهم[٤] .

فالخطاب يقال للشيء الصغير ، ويقال للعظيم ، لكنه فى كل من الحالتين يباين الأخرى ، اذ هو فى الأولى قصد به تهوين الشيء وتحقيره ، وفى الثانية التهويل والتعظيم ، ومن ثم جاء قولهم : الخطب : الشأن والأمر صغر أو عظم[٥] ،

(١) قطر المحيط باب الخاء فصل الطاء ، وما يثالثهما .
(٢) المعجم الوجيز مادة خ ط ب ص٢٠٢ .
(٣) سورة الفرقان الاية
(٤) الأمام الجمل : الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية جـ٣ ص٢٦٧ ط دار المنار القاهرة
(٥) القاموس المحيط باب الباء فصل الخاء ص٦٢ .

ولا يراد من الصغر والعظم ، الا ما يفهم من التعظيم أو التحقير على ما هو مدون فـي كتب الفن نفسه .

ولذا فان هذا الأمر على ناحيتيه الصغر والعظم لا يراد به الجمع بين النقيضين[1] ،لأنهما غير موجودين فى وقت واحد ، ولا الجمع بين المتضادين[2] ، لأنهما من حهتين مختلفتين ، من ثم فلا يقع ما يظن .

على أن مادة خ ط ب تعنى مما تعنى الخطب ، والمخاطبة والتخاطب ، ويراد بها المراجعة فى الكلام ، حتى يستبين الأمر لدى السامع والمتكلم معا ، وفصل الخطاب من سمات الخطاب نفسه بالنسبة لقائله ، ولذا عرفوا فصل الخطاب بأنه ما ينفصل به الأمر من الخطاب " على سبيل الإيضاح والبيان "[3] .

من ثم فان اللغة قد حسمت المسألة وذكرت للخطاب عدة معان ، تناولناها حسب تيسير الله تعالى لنا لكن تبقى نقطةما تزال قائمة ، فى ما هو تعريف الدارس للخطاب على الناحية اللغوية اذن ؟ والجواب :-

تعريف الدارس للخطاب :

مما سلف يمكن القول : بأن الخطاب فى اللغة هو :

الكلام المقنع المبين عن غرضه ، فى رسالة لها الصدارة ، ومعها الفصل والابانة بجانب الطلب للفعل أو الكف عنه ، صغر أو عظم ، بشكل يتمكن من معالجته كل من يتحقق فيه أمكانية المعالجة .

---

(١) النقيضان هما الأمران اللذان لا يجتمعان معا ولا يرتفعان معا لعدم وجود ثالث بينهما كالحياة والموت والوجود والعدم راجع القطب على الشمسية .

(٢) المتضادان هما الأمران اللذان لا يجتمعان ، وقد يرتفعان كالبياض والسودا ، فالهما ضدان لا نقيضين اذ لا يجتمعان فى شئ واحد بحيث يكون أبيض واسود فى وقت واحد ، ولكنهما قد يرتفعان فيكون ازرقا أوأحمر مثلا

(٣) الراغب الأصفهانى - المفردات فى غريب القرآن ص١٥٠ - تحقيق محمد سيد كيلانى - ط دار المعرفة .

ولا شك أن هذا المنتج اللغوى ضرورى لأنه مقتبس من المعانى المتناولة للفظ الخطاب فى لغة العرب ، وفى نفس الوقت اشتماله على كافة أنحائها من نطق وإبانة ، إلى إفصاح ومعالجة ، على الناحية التى أشارت اليها معاجم العربية[1] على النحو الذى سلف ذكر طرف منه .

- بيد أن الخطاب من هذه الناحية المعجمية أو القاموسية يحمل أمرين معا :

- **الأمر الأول** : لفظ الخطاب أى لغته المنطوق بها ، وهو المقصود عند علماء الرسوم والألفاظ الذين هم علماء اللغة .

- **الأمر الثانى** : مدلول الخطاب : أى المعنى الكامن خلف تلك المفردات اللغوية ، وهو المعنى المراد عند علماء ما خلف الرقوم ، وأصحاب المفاهيم العقلية الذين نعنى بعرض وجهة نظرهم فى المسألة .

وطبقا لما سلف ، فان الخطاب من حيث لغته تتعدد ألوانه ، وتكثر طرق تناوله ، كما توجد العديد من المعالجات التى تتم فى حدوده خاصة بدلالاته ومفاهيمه ، أو قراءاته وكتاباته والمناهج التى تعنى بمعالجة مسائله وموضوعاته والغايات[2] .

وليس هذا فحسب ، بل أن الخطاب من حيث هو منسوب لصاحبه يعتبر نصا منقولا عنه ، سواء أحتمل معنى واحدا ، أو أحتمل معان شتى ، ولـذا عرف النص بأنه " سوق الكلام لأجل زيادة الوضوح فى المعنى ، فاذا قيل أحسنوا إلى فلان الـذى يفرح بفرحى ، ويغتم لغمى ، كان نصا فى بيان محبته[3] .

---

(١) وقد أشرنا اليها فى أسفل الصفحات

(٢) هذه النقاط فيها معالجات كثيرة وصور متعددة بعضها حالفه التوفيق وبعض أخر خالفه .

(٣) الأمام الجرجانى التعريفات باب النون ص ٢١٥ ط الحلبى ١٩٣٨م .

لأنه لغة القائل منسوبة اليه بألفاظه التى صدرت عنه ، ومعانيه التـى يعلمـها هو سواء أعلن عنها أم لا ، وسواء فهمهما من القيت اليه ، أو تمنعت عليه .

بيد أن النص يمكن فهمه على أنه اللغة التى جاء بها الخطاب نفسه ، وعلى هذا يكون الخطاب هو النص ذاته من غير نظر لشيء أخر(١) ، والنص هو الخطاب ، وتكون التسمية من باب المترادفات ، كما أن الخطاب بلفظه وحروقـه وكلماتـه التـى نطق بها ، انما هو خطاب ناطق لا محالة ، أو نص منطوق عن صاحبه بهذا المعنى .

على ان دلالة النص هى الأخرى تمثل خطابا أيضا ، لكنه ليس خطابا ناطقا ، انما هو خطاب صامت ، فالخطاب الناطق هو الخطـاب اللغـوى المعـبر بألفاظـه عـن المعنى المراد من غير إيهام ، والخطاب الصامت انما هو خطاب دلالى(٢) ، ولو لم تكن له دلالته لا نحصر فى الخطاب اللغوى فقط ، ولفقد الكثير مـن الأهميـة التـى يعـول عليه فى التعرف عليها والكشف عن غوامضها .

على أن الذى يجب التنويــه اليـه ، والتنبيـه عليـه هـو أن الخطـاب اللغـوى والصامت لا ينفصلان على وجه التحديد الدقيق ، بل يكمل كـل منـهما الآخـر ، ولا يقف أحدهما ممثلا عن الأثنين ، فالمعنى القائم فى عقـل المتكلـم وفكـره لا يمكـن أن تنقله المفردات كما هو الحال فى أعماق فكر صاحبه ، لأن الألفاظ أثواب للمعانى فقط ، وليست الأثواب هى كل المعانى(٣) .

---

(١) القرآن الكريم والحديث الشريف لا يدخلان فى هذا المفهوم ، لأنهما كلام الله تعالى بالفاظه ومعانيه ، وهـــو القرآن الكريم ، أو بمعانيه وألفاظه منطوق بها من رسول الله ﷺ وهو الحديث الشريف على ما هـــو مـــدون فى كتب السنة و الأصول وعلوم القرآن

(٢) يقصد بالصامت هنا المفهوم الدلالى الذى فتعرف عليه من المنطوق نفسه راجع الدلالة عند علماء الأصـــول أو أصول التشريع الإسلامى للدكتور على حسب الله .

(٣) يقوم عمل المناطقة على المفاهيم ولا يهتمون بالألفاظ الا فى حدود ضيقة .

ولذا يقرر العلماء أنه اذا ورد الأمر بصورة خطاب الذكور ، فهو على الذكـور ، فهو على الذكور دون الأناث ، ألا أن يقوم دليـل علـى دخـول الانـاث فيـه[1] ، اذن المعانى تنقل عن طريق الألفاظ وليست هى الألفاظ ، مما يستوجب دراسة العلاقة بين الألفاظ ومفاهيمها على النحو الذى يكشف تلك العلاقة .

الألفاظ اذن سيلة نقل المعانى وليست هى المعانى ، ولذا ربما استعيض عنها – المفردات اللغوية – بالإيحاءات المفهمة ، والإشارات المتفق عليـها ، والشـفرات التـى تكون محل تواضع بين المستخدمين لها ، ولا يقال عليها أبدا أنها لغة حواريـة ، أو تخاطب لفظى ، أو خطاب كلامى ، وانما تسمى الشفرة ، أو الكـود حسـب مـا هـو موضوع لها عند المتناولين لها[2] .

أضف الى ما سبق أن الخطاب اللغوى له قراءاته والإفهام التى تجوس أعماقه ، وتتسلل الى رحابه ناقلة أياه الى أجيال متطاولة أو صاعدة بمعانيه سماوات الفكـر[3] ، أملة أن تؤب حاملة من المعانى ارقاها ، ومن المفاهيم أسـناها ، ومـن النتـاج القرائـى خطابات مختلفة تثرى حركة الحياة فى جانبها الفكرى ، ومثل هذا لا تثريب علـى مباشرته ، والجهد معه ، بل هو واجب علـى كـل قـادر للقيـام بـه[4] ، وفـى حـدود اصطلاحات القوم أنفسهم .

---

(١) الأمام ابن حزم الأحكام فى أصول الأحكام حـ٣ ص٣٣٦ ط دار الحديث أولى ١٩٨٤م .

(٢) فلغة الا شارة غير لغة الكتابة والايماء ، وكلها خطابات لكن على طرق مختلفة .

(٣) لأن الخطاب اللغوى ينحصر فى مفردات اللغة وألفاظها فقط ، وهو غير الخطاب الأصـولى الـذى يعـنى بالمدلول والمفهوم .

(٤) تلك طبيعة الفكر التى جعلها الله فى بنى البشر .

حتى اذا سلم بأن الخطاب هو النص نفسه ، وأن اللغة التى حملته الينـا هـى منطوقة ، وأنه على حاله من المنطوق به ، أو المسكوت عنه ، فان الدلالة تختلف فى كل حالة عن الأخرى ، لأن سمة الخطاب الناطق دلالته للناطقين واضحة ، أما الصم البكم فان لغته لا تجاوز حواسهم التى هى وسائل معارفهم[1] .

كما أن الخطاب الأشارى المعبر عنه أصحابـه بوسـائلهم فـى التعبـير انمـا هـو خطاب له دلالته ومفهومه ومعناه ، وهو وان لم يكن لغويا منطوقا به بالنسبة للناطقين ، فانه بالنسبة لأصحاب الاشارات لغة معبرة بالايماءات والاشارات السلوكية[2] .

من ثم بات من المؤكد أن دراسـة الخطـاب وقراءاتـه ، والتعـرف علـى أنواعـه ودلالاتـه وعلاقتـه بالمـاضى البعيـد[3] ، أو الحـال الواقـع ، أو اللحظـة المعاشـة ، أو المستقبل المنتظر أمـر مـهم جـدا ، لـذا فـانى أوكـد أن الكثـيرين مـن النـاس يمتـدون بأفكارهم الى الماضى ينبشون فيه ، علهم لتراثه يتعرفون ، أو من قراءاتـه يقبسـون اذا كان غرضهم التعرف على أوجه الخير والاستمرار فيه .

أو التعرف على مناطق الشر والابتعاد عنها[4] طالما كانت غير قائمة على أصول غير سليمة ، أو قواعـد لا اسـاس لهـا ، أو قيـود لا توافـق مـا هـدف اليـه أصحابـه أنفسهم.

---

(١) وهذا مما لا يجحده الا من ينكر الشمس فى وضح النهار .

(٢) راجع النظريات السلوكية المعتمدة فى طرق تلقى الصم البكم للعلوم السلوكية .

(٣) هذا يدل على تنوع الخطاب باعتبار الزمان ماضيه وحاضره .

(٤) ومثل هذه المسائل يعطى اتساعا أفقيا فى أفهام أصحابه ، ويكشف عن أصالة الفكر ان كانت فيه أصالـــة ، أو زيفه ان كان باطلا .

ولا شك أن النقل الدينى المنزل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هو أدق النقول اطلاقا على الناحية النقلية ، لأنه كلام الله تعالى ، المنزل على قلب النبى ﷺ بلفظه ومعناه ، وهو القرآن الكريم ، أو بمعناه دون لفظه ، وهو الحديث الشريف الصحيح[1] ، وبالتالى فان الفعل المنزل هو الوحيد الذى يتعامل مع كافة المستجدات أيا كانت انواعها مستوعبا كل القضايا وموجها الى غيرها[2] .

فالقرآن الكريم هو كلام رب العالمين ، وهو وحده النقل المنزل المعصوم ، قال تعالى ﴿" ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"﴾[3] ، كما أنه الوحيد الذى ضمن الله حفظه فلم يقع فيه شيء من تبديل أو تحريف أو إهمال ، ولن يكون أبدا .

◈ أما لماذا ؟

☞ فلأن الله تعالى قال فى قرآنه الكريم ﴿" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"﴾[4] ، وبالتالى فالله قد حكم بحفظه له مما لم يحفظ منه الكتب السابقة ، حيث أنها كانت فى أغلبها أوصافا لمعجزات الأنبياء السابقين فلما انتهت المعجزات معهم انتهى الواصف لها[5] ، وهو الكتاب الذى جاء واصفا لها وشأن الواصف ملازمة الموصوف .

---

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن جـ١ ص٢١١ .

(٢) نحن لا نقارن النقل المنزل القرآن والسنة النبوية المطهرة بأى نقل آخر ، فالنقل المنزل مقدس لا مساس به ولا اقتراب منه الا بما أمر به الشرع الشريف أو نهى عنه .

(٣) سورة فصلت الآيتان ٤١/٤٢ .

(٤) سورة الحجر الاية ٩ .

(٥) الشيخ محمد متولى الشعراوى معجزة القرآن ص١٢٤ ط الشعب .

أما القرآن الكريم فهو المعجزة والوصف معا ، ولأنه كلام الله ، فهو صفة من صفاته جل وعلا ، وبالتالى سيظل القرآن الكريم عاملا فى كل لحظة وحين قائما إلى يوم الدين ، كما أنه المعجزة والواصف لها معا ، وما يزال التحدى قائما به والأعجاز مستمرا ، ولذا فسيظل القرآن الكريم محفوظا ابد الدهر[1] والى أن يرث الله الأرض وما عليه ومن عليها أبد الآبدين .

◈ أما كيف يكون الحفظ ؟ فذلك يتم على وجوه منها :-

[١] أن تحفظه صدور المؤمنين بالله رب العالمين استظهارا له والتزاما لقراءاته[2] التى صحت عن رسول الله ﷺ وتواترت فى اسانيدها والمتون[3] ، والواقع خير شاهد على ما مر ذكرناه[4] .

[٢] ان يظل مكتوبا فى المصاحف مدونا فى الصحف المكتوب فيها ، مثبتا فى العقول والأفهام .

فاذا أراد الله انهاء الكون ، حفظ القرآن الكريم عنده برفعه من المصاحف ، وقبضه من صدور المؤمنين به ، ثم طواه عنده ، تستحفظه الملائكة ، لقوله ﷺ " أن هذا القرآن حبل الله ، طرفه بيد ا لله ، وطرفه بيد الناس ، فمن امسك به نجا ، ومن تركه هلك"[5] ، وهو الذى نؤمن به ، ونعول عليه ، ونحتكم اليه ، مع السنة النبوية المطهرة فهما الأصول الثابته ، والمصادر الأساسية للتشريع الإسلامى .

---

(١) د/ محمد حسينى موسى محمد الغزالى الغزاليات فى النبوات وخوارق العادات جـ١ ص١٢٥ مطبعة آل بسيونى .

(٢) العلامة ابن الجذرى اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ص١٢ .

(٣) النشر فى القراءات العشر ص٣١ .

(٤) فالأطفال والشيوخ فضلا عن الشباب فى كل بلاد العالم مهتمون بحفظ القرآن الكريم ، وكتابته ، وقراءاته وتقام المسابقات التى هى باليوميات لتكريم حفظة القرآن الكريم ، والمعنين بعلومه وهذا من ظواهر الحفظ له .

(٥) حديث صحيح وله شواهد كثيرة – شرح الفشنى على الأربعين النووية ص١١٨ .

ثانيا
الخطاب في الاصطلاح

المبحث الثاني

لغة الخطاب

سلف القول بأن الخطاب رسالة بعينها موجهة لمقصودين من الخطاب نفسه فاهمين له ، تعالج موضوعات تتعلق بأمر المخاطب ، فى حدود ما تطيقه إمكانيات المخاطب بها على كافة النواحى سواء كانوا بها عارفين من حيث النتائج ، أو طرأت لهم ، واستجدت عليهم ، ويدخل فى الخطاب التكليف .

يقول الأمام الغزالى " والتكليف نوع خطاب ، وله متعلق ، وهو المكلف به ، وشرطه أن يكون مفهوما[1] ، وحيث أن التكليف خطاب ، فلابد من أمور ثلاثة فى علاقة التكليف بالحساب :-

- **الأول : المكلف :- وهو الأمر الناهى .**
- **الثانى : الكلام ، وهو اللغة الحاملة للمعنى المراد .**
- **الثالث : وهو المكلف به الذى يخاطب به ويطلب منه ويقصد به[2] .**

اذن صارت لنا فى المسألة أمور منها :

[١] المخاطب[3] .

[٢] المخاطب[4] .

[٣] موضوع الخطاب[5] .

---

(١) الامام ابو حامد الغزالى الاقتصاد فى الاعتقاد ص٩٦ ط الحلبى .

(٢) راجع كتابنا " حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد " جـ٣ الأفعال الالهية ص١٧٠ ط١ صبحى ١٩٩٨م .

(٣) اسم فاعل ، وهو الذى يوجه الخطاب لغيره .

(٤) اسم مفعول ، وهو الذى يوجه اليه الخطاب .

(٥) موضوع الشيء هو محل العرض المختص به ، وقيل هو الأمر الموجود فى الذهن ، التعريفات للجرجانى ص٢١٢ .

[٤] لغة الخطاب[1] .

وتلك الجوانب الأربعة أراها متكاملة وضرورية حتى يؤدى الخطاب المعنى المراد منه ، اذ لا يعقل أن يصدر الخطاب من غير مخاطب له كافة الصلاحيات فى هذه الناحية ، سواء كان وجودها فى ذاته من ذاته ، أو كانت تلك الصلاحيات مضافة اليه من سلطة يملكها هو أو وضعها فيه غيره .

وهو ما نعرف به المخاطب ، وهو الذى نقصده بالتكامل بين المخاطب والمخاطب ، فمن يخاطب ما لا يعقل لا يعتد بقوله ، ومن يخاطب من لا يفهم فخطابه مردود عليه لا محالة ، متى قصد الحقيقة .

كما لا يوجد مخاطب قادر على الخطاب ، ثم لا يرسل خطابه على نحو من الأنحاء المرادة له باعتباره الوحيد الذى يملك تلك السلطة ، أو هى له ، ولا يكون خطابه فى الفراغ ، اذ الضرورة العقلية قاضية بأن الخطاب لابد أن يكون من مخاطب ولمخاطبين معينين ، ولهم وجود ذهنى[2] أو ذكرى حصرا أو واقعى ، أو عدا ، وهم المخاطبون ، ولهم إمكانيات تجعلهم يفهمون الخطاب لغة وموضوعا ومسائل وغايات.

على أن المخاطب والمخاطبين لابد أن يكون بينهما موضوع للمخاطبة وهو الجانب الثالث ، أمرا ، او نهيا ، تحذيرا أو توجيها ، رجاء أو إنكارا ، أنه موضوع الخطاب بكل ما تعنيه أبعاده ، وما يختص به نوعه[3] .

---

(١) لغة الخطاب : هى ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، " التعريفات ص١٦٩ .

(٢) الوجودات أنواع كثيرة ، وعلى نواح شتى راجع نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام ص١٦ .

(٣) لأن موضوع الخطاب قابل لأكثر من معنى ، فاذا اراد الأمر الناهى ابراز أحدها وجه اليها ، ونبه عليها .

وهذا الموضوع ربما أختلف من خطاب لآخر ، حسب نوع الخطاب ، وظروف المخاطبين ، وما يريده المخاطب نفسه ، من موضوع الخطاب الذى وقع له ، أو خاطب به .

فاذا لم يقع الأمران الأخيران موضوع الخطاب ، ووجود مخاطبين فاهمين – مع سابقهما لم يتحقق الفهم فى المسألة ، وبالتالى لا يفقه السامع القول ، وربما نستشهد لذلك بقوله تعالى حكاية عن خصوم نبى الله "شعيب" ﴿" قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وأنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز"﴾(١) .

وربما نوضح موضوع الخطاب فيما ورد به الحديث الشريف فعن العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل يا رسول الله كأنها موعظة مودع فماذا تعهد الينا ؟

قال ﷺ " عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدى ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجز ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة(٢) .

أما الرابع وهو الصيغة التى يمكن بها إبلاغ المخاطبين ذلك الخطاب فهى لغة الخطاب من غير نظر لشيء أخر ، أنها الصيغة اللفظية بمنظومها اللغوى ، من غير محاولة لفهمها ، أعنى من غير نظر إلى دور الملقى اليه الخطاب نفسه .

---

(١) سورة هود الاية ٩١ .

(٢) رواه الترمذى واخرجه أحمد فى مسنده وأشتهرت تلك الرواية ، كما وردت على أكثر من طريق .

تعريف لغة الخطاب

۞ تعرف: بأنها ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم(1) سواء فهمها الملقى اليهم بخطاب على النحو الذى يريده المخاطب أم لا ؟

كما عرفت بأنها أصوات يعبر به كل قوم عن أغراضهم(2) ، ولكن الأول أعم ، لأن تعريف لغة الخطاب بأنها الأصوات قيد يخرج الدلالة الإشارية ، والطبيعية ، والكتابية ، ولا يبقى الا اللغة النطقية اللفظية وحدها ، ومثله لا يكفى فى التعاريف حتى يؤدى نتائج يمكن تطبيقها فى مواضع مختلفة ، أو يكون تعريفا جامعا مانعا ، حتى يكون أكمل التعاريف(3) وأكثرها قبولا ، على ما يراه المناطقة(4) طبقا لشروطهم.

اذن لغة الخطاب ليست حروفا وأصوات فقط ، وانما هى ما ذكر والمعانى التى تنقلها تلك الحروف ، وهذه الكلمات والإشارات والإيحاءات بل والإيماءات أيضا ، وكل ما كان من وسائل التعبير ، حتى ولو كان انبساطا فى الوجه ، أو عبوسا فيه وانقباضا ، فانها جميعا لغة معبرة على الطريقة التى يتعامل بها من يفقه مراميها(5) .

من ثم فاننا لا نتفق مع من يرى أن الفكر محصور فى الصيغ اللفظية فما هى الا إحدى وسائل التعبير عن الفكر ، وليست هى الفكر نفسه ، أما الزعم بأنه " لا

---

(1) التعريفات ص١٦٩ .

(2) المعجم الوجيز ص٥٦١

(3) العلامة الباجورى – حاشية الباجورى على شرح السلم ص١٨ .

(4) راجع كتابنا " الوليد المنطق فى علم المنطق ص٢١٦ "

(5) وتذكر بعض المصادر الفقهية أن أمرأة أرادت معرفة طهرها من حيضها فأتت الأمام أبى حنيفة ومعها تفاحة حمراء ثم ألقت بها اليه ، فأحضر المدية ثم قطعها وأعطايا اياها ، فلما نصرفت قال لأصحابه جاءت تسألنى عن حيضها وطهرها ففهموا .

ضرورة لافتراض وجود شيء تعلل به عملية الفكر سوى العبارات اللفظية ، أى الكلام مقيدا بشروط خاصة[1] .

فهو قول لا يجد أدلة يمكنه الاعتماد عليها سوى الجدل واللغط ، ومحاولة التخلص من الأصول القائمة على اسس شرعية ، مع أن كليهما الجدل واللفظ – ليسا سوى عمليات عقلية أيضا ، فعاد الأمر عليه ، وبالتالى يفقد صاحب القول مقومات القبول من الناحية الشرعية ، ومنكر البدهيات لا يسمع له .

وليس أدل على عجز الرأى السابق عن القيام بما نيط به من محاولة تفسير التفكير الصامت بأنه ألفاظ تجرى فى تركيبات معينة ، وان تكن الألفاظ فى هذه الحالة غير مسموعة ألا لصاحبها ، لأن الحركات التى تحدثها أضعف من أن تحرك اللسان والشفتين فى صوت مسموع للآخرين[2] .

وهو فى ذات الوقت يعترف بوجود العمليات العقلية الذهنية ، ويعرف بانها حركة داخل الفكر نفسه ، وأنها اتجاه عقلى وجدانى من وجهة نظره ، بمعنى أن لها وجودا غير مادى ، ولكنه ينكر الحق ، ويهرع للضلال ، كما هى عادة غير النابهين .

وكذلك اذا عالجنا المسألة بالفصل بين المعانى التى تحملها المفردات وبين ذات المفردات ، فان الزعم السابق لا ينهض ، بل يجد نفسه من غير غطاء نقدى[3] ،

(١) الدكتور / زكى نجيب محمود المنطق الوضعى – جـ١ص٨ط٦ الأنجلو المصرية١٩٨١م .

(٢) المصدر السابق ص٨

(٣) استعمال اقتصادى يطلق على العملة النقدية التى تحتفظ بها الدولة فى البنك المركزى من الرصيد الذهبى ، وكذلك الأفكار التى لا سند لها فالها تكون كالشيك بدون رصيد .

من ثم فانه يكون من قبيل العملات التى فقدت أرصدتها البنكية ، ولم تعد لها قيمة فى السوق الذى يظن وجودها فيه .

۞ اذن فما بقى لها الا خيال صاحبها المريض ، وأحلامه الساذجة ، وهى لن تعود عليه بخير ، لأن إنكار الحقائق الثابتة تجعل الحكم على المنكرين لها بأنهم فى عداد المجانين[1] على أحسن وصف أو تقدير .

كما أن محاولة تفسير الروح ، والفهم ، والعقل ، والحب ، والبغض من خلال الفيزياء النظرية أو العلمية ، لم تجد أسانيد تعتمد عليها عند أصحابها الأصليين ، الذين كان دعاة الوضعية الطبيعية ، والوضعية المنطقية[2] ، فى أوربا أبرز الدعاة لها ، وقد انتهى بمصرها ، وفقدت مقومات استمرارها ، فما بالها لو ألقيت فى بحر المعارف الروحية عند المؤمنين بالغيبيات ، وعدم إمكانية تفسيرها الغيبيات تفسيرا ميكانيكيا ، على ناحية فيزيائية[3] ، فلا شك أنها لن تجد سوى التجهيل لها ، وعدم الاعتداد بها .

انها لو حاول العقل تفسيرها على هذه الناحية الميكانيكية فلن يكون بمأمن عن الانزلاق فى الخطأ ، بل هو الخطأ نفسه ، لأنه لو أمكن فهمها على ناحية فيزيائية ما كانت غيبا ، بل كانت أمرا طبيعيا ، كما أن الغيب " هو مالا يضبط بحاسة أو

---

(١) لا عبرة بما يحمله صاحب الرأى من درجات علمية لأن هناك فرقا بين الألة التى حصلّ بها الدرجة وبين الملكة التى تفرض سلطانها وتظهر فى فكر صاحبها .

(٢) راجع لدفجنشنين ص٣٢٠ .

(٣) راجع كتابنا "الايمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى " ط٧ ص٥٧٨ وما بعدها فصل "موقف الوضعية من الميتافيزيقا" .

حدس ، ولا يدرك ببداهة العقل ، ولا تتعرف عليه العقول كله وحدها ، وانما مرده الى الله تعالى خلقا له ، وعلما به ، يعطى منه من يشاء ، على وفق ما يشاء ، أو يظل سرا عنده سبحانه وتعالى يبقيه مطويا ، يجب الإيمان به على وجه الأجمال ، فيما أجمل والتفصيل فيما فصل[1] .

وعلى هذا لا يمكن الاعتداد بالزعم المائل إلى أن الفكر هو اللغة وحدها ، أو تفسيره بها وحدها ، أو أن اللغة هى الفكر ، لوجود الفوارق الفنية بين كل من الفكر واللغة على ما سلف بيانه .

ومن ثم تكون لغة الخطاب غير الخطاب نفسه ، والمعنى غير اللفظ لا محالة ، ولا عبرة بالمخالف لأنه لاسند معه يمكن قبوله منه ، كما أن العلماء قد عنوا بوضع الفوارق الدقيقة بين كل من اللغة ، وهى الألفاظ ، وبين المعانى وهى المفاهيم[2] ، وخصوا لذلك دراسات متعددة ، وجعلوا فصولا مستقلة لبحث علاقة الألفاظ بالمعانى[3] ، وقد يسمونها علاقة الفكر باللغة[4] .

كما ان لغة الخطاب لا يمكن أن تكون هى المفردات وحدها ، وانما لابد أن يدخل فيها ما كان منطويا معها ، فحمرة الخجل ، وصفرة الوجل ، والأقدام فى

---

(١) د/ محمد حسينى موسى محمد الغزالى الايمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى ط٣ ص٦٨ مكتبة شروق للطباعة والنشر ١٩٩٧م .

(٢) راجع حاشية الباجورى على شرح السلم ص١٨ ط الحلبى ، وكذلك حاشية العطار فى المنطق ، وتهذيب المنطق للعلامة السعد التفتازانى .

(٣) راجع كتابنا " النديم فى المنطق القديم " - جـ١ مبحث علاقة الألفاظ بالمعانى ص٣١١ .

(٤) راجع المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم لشيخنا أ.د/ عوض الله حجازى - رئيس جامعة الأزهر الأسبق أطال الله فى عمره ، وبارك فى أثره .

مواقف الجهاد ، كلها تحمل دلالات معينة سواء كانت بالمنطوق أو المفهوم أو بهما معا[1] .

۞ ولغة الخطاب دفعت المفكرين قديما وحديثا إلى البحث عن أنواعها ، وظروف كل نوع ، بل وما يندرج تحت هذه وتلك حتى أنهم فرقوا بين صور عديدة جاءت عليها لغة الخطاب كناحية فكرية منها :-

[أ] لغة الخطاب باعتبارها منطوقا

[ب] لغة لخطاب باعتبارها مفهوما .

[جـ] لغة الخطاب باعتبارها لفظا لغويا على سبيل الحقيقة اللغوية .

[د] لغة الخطاب باعتبارها دلالة على سبيل المجاز العقلى ، أو المرسل .

[هـ] لغة الخطاب على سبيل الإطلاق أو التقييد .

حتى أن بعض الفقهاء ربما ذهب إلى إبقاء المطلق على اطلاقه ، والمقيد على تقييده ، ومال غيرهم إلى حمل المطلق على المقيد[2] ، وبالتالى فان لغة الخطاب غير مفهوم الخطاب حتما ، ومن ينازع فى ذلك لا يجد ما يعضده ، ومثله لا يسمع له ، ولا يلتفت العقلاء اليه .

كما بينوا أن المنطوق غالبا يكون أخص من المفهوم ، باعتبار أن الألفاظ هى أثواب المعانى ، فلا يمكن أن يفهم من اللفظ الا المعنى المشار اليه حسب إمكانيات

---

(١) راجع مباحث الدلالة عن المناطقة ، وكذلك عند علماء الأصول - الوليد المنطق فى علم المنطق ، وكذلك أصول التشريع الإسلامى - د/ على حسب الله - دار المعارف .

(٢) العلامة ابن قدامة الحفبلى المغنى جـ٧ ص٣٥٥ .

الفاهم نفسه أو المتلقى للخطاب حتى انه ترد على فكره معان كثيرة فلا يقبل منها الا ما يجد له صدى فى أعماقه ، أو أسسا يطوّف عليها باقى بنائه الفكرى(1) .

❁ ويعرف المنطوق بأنه " مادل عليه اللفظ فى محل النطق(2) ليس الا ، بمعنى أن يكون حكما للفظ نفسه ، كما يكون حالا من أحواله هو سواء ذكر الحكم ذلك ونطق به أم لم يذكره(3) ، على أية ناحية من نواحى دلالة المنطوق على المفهوم(4) ، وهناك مباحث عديدة تتعلق بالمنطوق(5) .

كما أن المفهوم يخالف المنطوق اللغوى ، اذ اللغة من حيث مفرداتها هى الأصل معبر فيها الحقيقة اللغوية ، أما مفهوم تلك اللغة فانه يتسلل إلى كل العلوم الإنسانية ، ولا يمكن أن يكون المعنى فيها واحدا ، بل كل منها انما يحمل اللفظ اللغوى المعنى به الذى يمكن قبوله فى تلك المباحث الفنية ، والتى تعتبر من خصوصيات هذا الفن نفسه الذى يتعرض له بالبحث والدرس .

❁ فمثلا : لفظ التناقض مفهومه لدى علماء الطبيعة هو الاختلاف السائد بين ظواهر علوم الحياة ، وعلم الفيزياء حتى قالوا " ان التناقض فى علوم الحياة الذى

---

(١) راجع فى المسألة جهود المفكرين المسلمين فى المنطق والأصول ، وبخاصة حاشية العلامة الدسوقى فى المنطق ، وحاشية العلامة الشيخ حسن العطار ، وحاشية العلامة الباجورى ، وكلها مطبوعة ومتوفرة ، والموافقات للعلامة الشاطبى ، والورقات لامام الحرمين ومنهاج الوصول ، والأحكام فى أصول الأحكام ، والى غير ذلك من المؤلفات فى المنطق وأصول الفقه .

(٢) العلامة ابن الحاجب – مختصر المنتهى جـ٢ ص١٧١ .

(٣) العلامة الشوكانى – ارشاد الفحول إلى علم الأصول ص١٧٨ .

(٤) راجع العلامة ابن السعكى – جمع الجوامع جـ١ ص٢٣٥ .

(٥) راجع المستصفى للأمام الغزالى جـ١ – شرح الاسنوى على المنهاج جـ١ .

يجعلها تختلف فى صفاتها الأساسية عن علم الفيزياء ، هو تفاصيل الطبيعة فى كل مكان[1] ، فاللفظ فى التناقض اذن واحد ، ولكن مفاهيمه المتخالفة تجعل المعنى غير اللفظ حتما ، ونؤكد أن المعانى متباعدة ولا يمكن حصرها فى دائرة الألفاظ وحدها ، الا على ناحية لغوية ، وليست تلك مهمة أصحاب المعارف العقلية .

۞ بينما يعرف المناطقة التناقض بأنه " الاختلاف بين قضيتين بالإيجاب والسلب بحيث يقتضى الاختلاف لذاته أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة ، كقولنا زيد كاتب ، زيد ليس بكاتب ، فانه صادق بما ذكر[2] مت كان على تلك الناحية .

وعلى هذا فلا يكون معنى التناقض واحدا لدى علماء الطبيعة وعلماء المنطق ، رغم أن حروف الكلمة عند أهل اللغة واحدة ، وأن مادتها مكونة من ال ت ن أ ق ض ، من ثم فلا يمكن اعتبار أن منطوقَ الخطاب هو نفسه مفهوم الخطاب ، وانما يمكن القول بانه أحد الأفهام فيه ، والفرق كبير جدا .

والأمثلة تخرج عن الحصر فى المسأله ، متى قصد حصر جميع العلوم والفنون والآداب ، ويمكن الرجوع إلى دور اشياخنا المجتهدين من علماء الأصول فى اللغة العربية حتى قالوا أن المعنى المنقول اليه يعتبر مفهوما بغير قرينة ، ويكون هو السابق

---

(١) حاكوب برونوفسكى التطور الحضارى للإنسان ارتقاء الإنسان ص١٧٢ - ترجمة د/ أحمد مستجير ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٧م سلسلة الف كتاب الثانى ٣٦ .

(٢) شيخ الإسلام زكريا الأنصارى شرح الأنصارى لكتاب ايساغوجى فى المنطق للعلامة الأبهرى ص٧٩ بحاشية العطار على ايساغوجى مطبعة مصطفى الحلبى ١٣٤٧هـ .

إلى الفهم دون غيره[١] ، وهم بهذا يميزون بين المفهوم والمنطوق ، فـي اللغـة علـى مـا رأيت . ولكا كان المنطوق هو ما دل عليه اللفظ فى محل النطق ، فان المفـهوم عندهـم هو ما دل عليه اللفظ لا فى محل النطق[٢] ، ويقسمونه إلى مفهوم موافـق[٣] للمنطـوق ، والى مفهوم مخالف ، ويعرف بأنه ما يكون مدلول اللفظ فـي محـل السـكوت مخالفـا لمدوله فى محل النطق[٤] .

ب- صور لغة الخطاب[٥]

على أن البحث ربما ظهر له تنوع صور لغة الخطاب ، بتنوع الخطـاب نفسـه تارة ، وتنوع المخاطبين وإمكانياتهم فى الفهم والقيام بما يلقـى اليـهم تـارة أخـرى ، بحيث يمكن القول بأن صور لغة الخطاب أنواع منها :

[١] **اللغة المنطوقة** : [٦] .

وهى المفردات الكلامية الملفوظة التى يراد بها أحداث شيء ما بعينه إيجابا ، أو سلبا ، أمرا أو نهيا ، نصحا أو خبرا ، إلى أخر أنواع الكلام ولهجاته وأغراضـه

---

(١) العلامة القراف الفروض جـ١ ص٤٠ ، وله مجهودات كثيرة فى حوانب الفقه والأصول ، كما له جـهود فى مقارنة الأديان ، وكذلك فى اللغة .

(٢) الأمام الشوكانى – ارشاد الفحول ص١٧٨ .

(٣) ويسمى مفهوم الموافقة لان حكم السكوه عنه موافق لحكم المنطوق به – راجع البرهان لامـام الحرمـين – جـ١ ص٤٩٩ .

(٤) العلامة الأمدى – الأحكام فى أصول الأحكام جـ٢ ص٢١٢ .

(٥) لا أقصد الصور القائمة فى لغة الخطاب من حيث التنوع اللفظى .

(٦) لغة الكلمات والحروف التى تخرج من الحنجرة وتحدث صوتا يفهمه السامع وتسمى بالنسبة له سمعيـة ، أم بالنسبة لصاحبها فهى منظومة خرجت من فمه بلغته هو ، كالخطب ودروس العلم وغيرها .

ومثلهما يقوم به الوعاظ والقصاص ، وغيرهم ممن يعنون بمثل تلك المسائل ، وهى غير شاهد الحال الذى عنى به الفقهاء[1] ، فالأمر بينهما بعيد جدا ، على ما هو بين للدارسين .

[٢] اللغة الحركية[2] .

وهى الإشارات التى تصدر عن فاقد النطق سواء كانت مع زميله هو ، عارف لتلك الاشارات ، مثلما يتخاطب الخرس ، ويعرفون بوصف الصم أو المحجوب عن الكلام بسبب من الأسباب لكنه يستطيع بحركته التعبير عن عطش أو جوع أو ضيق أو ألم ، أو فرح إلى غير ذلك ، بل أن التعبير الحركى صار أحد اللهجات المعبرة واللغات التى يتم التعامل معها ، ويتحمل صاحبها الأثر الناشئ عنها ، حتى أن الكثير من الدول خصصت منحا دراسية[3] وأقامت مدارس لتعليم الصم ، والبكم[4] ، وأدخلت كذلك فى الدراسات النفسية عندهم ، فهم قطاع قليل من أفراد المجتمع ، لكن لهم نفس الحقوق ، وعليهم نفس الواجبات .

والقرآن الكريم ذكر أن الله سبحانه وتعالى رزق نبيه زكريا البشارة بيحيى عليهما ونبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم فسأل زكريا عليه السلام ربه أن يجعل له علامة

(١) راجع الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ص١٩ وما بعدها .

(٢) لأنها تعتمد على الحركات الجسدية ، أكثر مما تعتمد على الألفاظ ، ومن ثم فهى بالنسبة للقائم بها حركية ، أما بالنسبة للمستقبل فهى فى الغالب حسية بصرية

(٣) يتساوى فى ذلك العالم المتقدم أو النامى ، فالمنح مخصصة فى أحوالهم صارت ضرورية .

(٤) وشجعت العديد من الدول الإسلامية على تبنى قضاياهم ، فخصصت لهم منشأت متكاملة للقيام بكل أنشطتهم ، وجعلت لذلك الأكفاء حتى يقوموا بهذا الدور .

دالة على هذا الرزق ، فأمره الله أن يتلقى تلك الآية وهى التعامل مع الناس بالرمز المعبر ، وليس بالنطق .

قال تعالى ﴿" هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انه سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب اجعل لى اية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار"﴾(١) .

[٣] **اللغة المرسومة**(٢) .

كالتى يفعلها الرسامون والمثالون ، وغيرهما ممن يجيدون التعبير عن المشاعر بالألوان المتفق عليها فيما بينهم ، متخذين وسائلهم من القلم والريشة والورق أو الخشب ، أو الشمع إلى غير ذلك ، والفكرة المعبرة ، والرسم الوافى كوسيلة للتعبير عن ما فى أعماقهم حتى صارت فى الكلمة المكتوبة ، واللسان الصامت .

وكثيرا ما نالت اللوحات الفنية إعجاب الناظرين اليها ، لما فى صمتها من تعبير جرئ قوى فعال ، والصور التى ترسم الفقر والاستبداد اللذين يقعان على الشعوب ، أو تلك التى ترسم صورة الحرية ، وتطالب بمحاربة الجهل ، أو تدعو للفضيلة ، أو تحارب الفضيلة بالرسم العارى والأعضاء المكشوفة فانها جميعا لغة مرسومة حرامها حرام فى حدود الشرع ، وحلالها حلال فى نطاق ما أمر به الله تعالى .

---

(١) سورة آل عمران الايات ٣٨/٤١ .

(٢) كالتى تقوم على النحت والرسم حتى أنها لتوشك أن تنطق بما يعانى منه من صورت له .

[٤] **اللغة الصامتة**[١] .

وهى التى تظل حبيسة صدر صاحبها ، يعبر عنها لسان حاله لا لسان مقاله كحمرة الخجل مع العذراء ، وصفرة الوجل مع الخوف[٢] ، أو مواجهة المواقف التى لا يعرف ما بعدها من نتائج ، حتى قيل : " الصمت علامة القبول أو الرضا[٣] ، وقد أفاض علماء الفقه والأصول من المسلمين فى بيان تلك المسألة ، كما تنوعت فيها الدراسات النفسية بمفهومها السيكولوجى[٤] ، والسيكاتورى[٥] .

[٥] **اللغة المكتوبة**[٦] .

وهى التى تحملها مفردات مكتوبة بلهجة أصحابها ، كاللغة العربية للعربى ، والتركية للتركى ، واللاتينية بل والإنجليزية ، والفرنسية والألمانية ، وسائر اللغات واللهجات[٧] ، التى تدوّن وتقرأ بعد تدوينها ، ويمكن إتقان مفرداتها وحروفها وتدوينها .

---

(١) وهى لغة المواجهة ، فهى ليست حركات أو كلمات ، ولكنها اهتزازات داخلية تظهر صورها على جسم صاحبها سواء قبولا أو رفضا ، ولكنها دائما تكون عنيفة متى كانت بين متخاصمين ، أو متعاتبين .

(٢) راجع كتابنا " الوليد المنطق فى علم المنطق" - مبحث الدلالة وأقسامها .

(٣) هذا مثل لكنه ليس على اطلاقه اذ ليس كل صمت علامة قبول ، لأن الصامت قد يضطر اليه لاسباب خارجة عن ارادته ، ومن ثم فلا يكون صمته قبولا .

(٤) السيكولوجى مصطلح يقصد به الدراسات النظرية فى النفس الانسانية .

(٥) السيكاتورى : مصطلح طبى يقصد به دراسة النفس الإنسانية ، وتقديم العلاج لها سواء كان دواء كيماويا، أو علاجا روحيا ، أو صورة من صور العلاج التكنولوجى المعروف الأن - راجع " سبفركولى - أعرف نفسك . ص٢٩ .

(٦) وهى لغة المراجع ، وكتب العلم وغيرها ، وتعرف باسم اللغة المكتوبة مهما أختلفت الأدوات التى كتبت بها

(٧) اللغات عادة يقصد بها القواعد الثابتة ، أما اللهجات فهى فى الغالب سماعية ، وليست لها قواعد ثابتة .

ومثلها لغة الخطابات المتبادلة بين الدول سواء عن طريق الحقائب الدبلوماسية ، أو غيرها من القنوات العالمية التى تتبع إجراءات بعينـها فـى مثـل تلـك الأمـور ، لكنها فى كل الحالات لغة مدونة مكتوبة ، وتسمى اللغة المكتوبـة لا محالـة ، وهـى أحدى صور الخطاب ، على ما سبق ذكره .

وكذلك الرسائل المتبادلة بين العلوم المختلفة(1) ، فكل علم يدون انما هو خطاب كاشف لأحواله امام العلوم الأخرى (2) ، ويدخل فيه الرسائل المتبادلة بـين الاصدقـاء حبا وعطفا ورحمة ، او بين الأعداء بغضا وحنقا وتهديدا وقسوة ومواجهة ، أو عتابا ، وتصالحا ، وهى مما يطلق عليها خطابات مكتوبة ، مفتوحة او مغلقـة لكنـها مـن ذات القبيل تسمى (3) باللغة المكتوبة .

۞ اذن لغة الخطاب تشمل هذه الصور كلها ، بـل ربمـا يجـئ الخطـاب عليـها جميعا ، وتصير كلها واحدة تسلك تحت اسم واحد هو لغة الخطاب ، ويعـبر عنـها كلها به ، كما تعرف بانها لغة ذات وسائل مختلفة تؤدى فى النهاية هدفا واحدا ، هو الخطاب المقروء او المسموع او المشاهد المرئى .

وفى كل الحالات هو معبر متى جاء على ناحية الإجادة والإتقان بالشروط التى عنى بها أصحاب الفن نفسه من ضرورة وجود موضوع الخطاب ، واللغـة المفهومـة ،

(1) باعتبارها ابحاثا يتعامل مع امثالها فى العلوم التى تستخدم منهجا متقاربا .

(2) يقصد بالأحوال هنا ، المصطلحات التى تستخدم فيه والمبادئ والقواعد التى انطلق منها أو انتهى اليها كما هو الحال فى علم الفيزياء ، والهندسة مثلا .

(3) وتسمى الرسائل الودية ، ومثلها الطرق الدبلوماسية ، كما تسمى الاخرى رسائل دق طبول الحرب ، واللغة القتالية أو الحرب الباردة .

والمخاطب الذى يعرف تلك اللغة ، ويفهم المراد من الخطاب الـذى يلقيـه ، ثـم فـى النهاية دور المخاطب وإمكانياته الذاتية [1] .

من ثم نخلص إلى ان هناك فروقا عديدة بين كل من :

[١] الخطاب .

[٢] مفهوم الخطاب .

[٣] لغة الخطاب .

[٤] جهود الأصوليين فى المسألة .

[٥] انطلاق بعض المنتسبين للعلم من مراكـز لا عـبرة بـها ، ولا اعتـداد بمـا فيـها لكونها نسيجا غير مقبول [2] ، ونتاجا لأفكار حكم عليها أصحابـها بـالموت ، وأعلنوا موتها وإدخالها قبرها ، بل وتمزيق اكفانـها كالحـال مـع العلمانيـة ، والوجودية ، والماركسية والوضعية المنطقية ، والوضعية الطبيعية . .

[٦] انطلاق علماء المسلمين من مراكز موثقة فـى اللغـة والديـن والاصطـلاح ، ولهـا غاية سامية واهداف نبيلة ، على مـا هـى طبيعـة الفكـر الإسـلامى والمفكريـن المسلمين الذين يحاولون ارضاء الله رب العالمين [3] دون خوف من أحد سواه ،

---

(١) راجع كتابنا : حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد جـ ٣ صـ ١٦٥ وما بعدها .

(٢) راجع مقدمة عمانويل كانت للدكتوره نازلى اسماعيل ص٩ .

(٣) أما أصحاب النزعات الشخصية فلن نلتفت اليهم ، وكذلك النقلة الذين لا يعنيهم سوى ممارسة دور اللـص الظريف على ما يقولون .

أو غاية تخالف شرع الله ، ونعم ما صنعوا ، أما النقلة ، وتجار السرقات الأدبية فلا يجرى لهم عندنا ذكر .

[٧] إثبات تعدد لغات الخطاب ، ولهجاته ، ودلالاته في الفكر الإسلامى على النحو الذى يؤكد تفوق الفكر الإسلامى فى كل نواحيه ، ومنها الحديث عن الخطاب[(١)] ، ونضج المفكرين المسلمين فى كافة المسائل التى تعرضوا لها ، مع تقديم الحلول الكافية والأدلة القوية ، والاسانيد المنيعة فى كل ما ذهبوا اليه ، أو تعرضوا له ويكفيهم شرف الالتزام بالقرآن الكريم وسنة خير المرسلين ، وما صح من مفردات ومعانى العرب الخلص .

---

(١) وهذا واضح فى كل القضايا التى تعرض لها المفكرون المسلمون من غير منازعة ، ولم ينكر ذلك الا جاهل بهم ، أو جاحد لمجهوداتهم ، أو ناقم عليهم ، يرجو زوال سلطانهم العلمى ، وأنى لمثله أن ينال منهم شيئا ، فهم أهل الله وخاصته .